

شرح أصول الكافي

[224] * الأصل 9 - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن مما حفظ من خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: يا أيها الناس إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتوها إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار. * الشرح قوله (أيها الناس إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم) لعل المراد بها مواضع العلوم والحقايق وهي القوانين الشرعية، أو الحجج العالمون بها، (وإن لكم نهاية فانتوها إلى نهايتكم) كان المراد بها الغاية المطلوبة للإنسان وهي الكمالات الموجبة للقرب وحملها على الأجل الموعود بعيد. (ألا إن المؤمن يعلم بين مخالفين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه) دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة إلى ما يأتي يكون بالنسبة إلى ما مضى أيضا وتخصيصه بما يأتي وإطلاق الحزن على ما مضى إصطلاح عند قوم وهذان الخوفان يوجبان تحقق كمال الإنسان، لأن الخوف ما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة والإستغفار والتدارك والإعتراف بالتقصير وإشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتي من احتمال المعصية والإغترار ونقصان الدرجة عن درجة الأبرار وإنقلاب والغفلة وترك الطاعات يوجب الإجتهد في إكتساب الخيرات والمبادرة إلى تحصيل الكمالات والمحافظة لآوقات العبادات، والخالي عن الخوف قاسي القلب فاسد العقل * (فويل للقاسية قلوبهم أولئك في ضلال مبين " (فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه) بأن يأخذ في الدنيا من نفسه فعل الطاعات والقربات وترك المنهيات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه في الآخرة (ومن دنياه لآخرته) بأن ينفع متاعها على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهي مزرعة الآخرة. (وفي التشبيه قبل الكبر) لأنه قد لا يصل الكبر فالتأخير مفوت للمقصود أو لان القدرة على العمل وتحمل المشاق في أيام الشباب أقوى أو لأن القوي في أيامه قوية وكما العمل تابع لقوتها. أو لأن العمل إذ صار ملكة في أيامه سهل عليه في أيام الكبر أو لأنه ينبغي أن يكون ميول القلب في أيام إلى الطاعة والإنقياد للأوامر والنواهي ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات النافعة في

